298905 ـ تفسير قوله تعالى: (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض).

السؤال

يقول الله فى سورة الشورى : (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) هل معنى هذا أن كل الأغنياء يبغون فى الأرض؟ ولو كان كذلك فما معنى البغي؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولًا:

إن المؤمن يعيش حياته شاكرًا في السراء، صابرًا على الضراء، والمؤمن قد يبتليه الله تعالى بالغنى ليشكر، وقد يبتليه الله بالفقر ليصبر . فليس في الغنى مدح مطلق، ولا في الفقر كذلك .

وقد أخبر الله تعالى أنه ينزل الرزق على حسب مصالح العباد، فقال: وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ الشورى/27، معناه: لو جاء الرزق على اختيار البشر، واقتراحهم : لكان سبب بغيهم ، وإفسادهم، ولكنه تعالى أعلم بالمصلحة في كل أحد، وله في عبيده ، وأحوالهم : علم ، وخبرة ، وبصر بأخلاقهم ومصالحهم، فهو ينزل لهم من الرزق القدر الذي به صلاحهم، فرب إنسان لا يصلحه إلا الفقر، وآخر لا يصلحه إلا الغنى، وهكذا .

انظر : " تفسير ابن عطية"(5/ 36).

يقول الإمام ابن كثير: " وقوله: ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض أي: لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق، لحملهم ذلك على البغي والطغيان ، من بعضهم على بعض، أشرا وبطرا.

وقال قتادة: كان يقال: خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك ....

وقوله: ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير أي: ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره، مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك ، فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر" انتهى من "تفسير ابن كثير" (7/ 206).

فهو سبحانه ما أعطى إلا بحكمته، ولا منع إلا بحكمته.

وقوله تعالى: خبير بصير، أي: يعلم ما تؤول إليه أحوالهم، فيقدّر لهم ما هو أصلح لهم ، وأقرب إلى جمع شملهم، فيفقر ويغني،

ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط، كما توجبه الحكمة الربانية، ولو أغناهم جميعًا لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا.

انظر: "فتوح الغيب" للطيبي (14/ 59).

ثانيًا:

البغي مجاوزة الحد، وهو إما أن يكون تضييعا للحق، وإما أن يكون تعديا للحد؛ فهو إما ترك واجب، وإما فعل محرم .

انظر: "مجموع الفتاوى"(1/ 14).

فبعض الناس لو وسع الله عليهم لجازوا الحد الذي حده الله عز وجل لهم، ولذا فيكون الفقر خيرًا لهم، وهناك من إذا وسع الله عليه عرف حق الله عليه ؛ فالتوسعة خير له .

قال ابن عاشور رحمه الله :

" وموقع معناها : موقع الاستدراك والاحتراس ؛ فإنها تشير إلى جواب عن سؤال مقدر في نفس السامع ، إذا سمع أن الله يستجيب للذين آمنوا ، وأنه يزيدهم من فضله ، أن يتساءل في نفسه: أن مما يسأل المؤمنون : سعةَ الرزق والبسطة فيه ؛ فقد كان المؤمنون أيام صدر الإسلام في حاجة وضيق رزق ، إذ منعهم المشركون أرزاقهم وقاطعوا معاملتهم ؟

فيجاب : بأن الله لو بسط الرزق للناس كلهم ، لكان بسطه مفسدا لهم ، لأن الذي يستغني يتطرقه نسيان الالتجاء إلى الله، ويحمله على الاعتداء على الناس .

فكان من خير المؤمنين الآجل لهم أن لا يبسط لهم في الرزق، وكان ذلك منوطا بحكمة أرادها الله من تدبير هذا العالم ، تطرد في الناس مؤمنهم وكافرهم ، قال تعالى: (إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) [العلق: 6، 7] .

وقد كان في ذلك للمؤمن فائدة أخرى، وهي أن لا يشغله غناه عن العمل الذي به يفوز في الآخرة؛ فلا تشغله أمواله عنه . وهذا الاعتبار هو الذي أشار إليه النبيء صلى الله عليه وسلم ، حين قال للأنصار لما تعرضوا له بعد صلاة الصبح ، وقد جاءه مال من البحرين : (فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) ...

والبغي: العدوان والظلم، أي لبغى بعضهم على بعض ؛ لأن الغنى مظنة البطر والأشر، إذا صادف نفسا خبيثة ...

ومعنى الآية: لو جعل الله جميع الناس في بسطة من الرزق، لاختل نظام حياتهم ، ببغي بعضهم على بعض ؛ لأن بعضهم الأغنياء تحدثه نفسه بالبغي ، لتوفر أسباب العدوان ، كما علمت ، فيجد من المبغي عليه المقاومة ، وهكذا، وذلك مفض إلى

اختلال نظامهم.

وبهذا تعلم أن بسط الرزق لبعض العباد ، كما هو مشاهد : لا يفضي إلى مثل هذا الفساد ؛ لأن الغنى قد يصادف نفسا صالحة ، ونفسا لها وازع من الدين ؛ فلا يكون سببا للبغي .

فإن صادف نفسا خبيثة ، لا وازع لها : فتلك حالة نادرة ، هي من جملة الأحوال السيئة في العالم ، ولها ما يقاومها في الشريعة ، وفصل القضاء ، وغيرة الجماعة ؛ فلا يفضي إلى فساد عام ، ولا إلى اختلال نظام. " انتهى مختصرا من "التحرير والتنوير" (92/25-92) .

والله أعلم